

مقياس :فكر جزائري 1  
المستوى : ماستر -1- السداسي الأول.  
تخصص : فلسفة عربية وإسلامية .  
الأستاذ :الدكتور شيخ امحمد

## المحاضرة الثانية

### الفكر الجزائري القديم

( يوبا الثاني، لكيوس ألبوس ،دوناتوس النقريني)

#### 1- يوبا الثاني

##### يوبا الثاني: الملك الفيلسوف

الملك يوبا الثاني المولود حوال 52 ق م هو ابن الملك النوميدي يوبا ،الذي حارب يوليوس قيصر هُزم أبوه في معركة تابسوس. لكنه هزم ورفض الأسر، واختار الانتحار بطريقة نبيلة - بالمبارزة مع أحد قادته - تاركًا ابنه يتيمًا ومملكة منهوبة.

نُقل الطفل ، كغنيمة حرب ،نشأ في البلاط الروماني، وتعلم مع أبناء النخبة، وتشرب الثقافة اللاتينية واليونانية ،كان تعليم يوبا استثنائيًا حتى بمقاييس النبلاء الرومان ، أتقن اليونانية واللاتينية إضافة إلى البونيقية والأمازيغية ،درس الفلسفة والأدب والتاريخ والعلوم الطبيعية، وقد ادرك حكم أغسطس وتحول الجمهورية إلى إمبراطورية

##### تأسيس الملك والعودة إلى المملكة

بقرار ذكي من الإمبراطور أغسطس أعاد يوبا إلى جكم موريطانيا، فيوبا يعرف الثقافة المحلية ويخلص لروما في نفس الوقت ،ومن أجل تثبيت حكمه وتقويته ،تم تزويج زوج يوبا من كليوباترا سيليني الثانية، ابنة كليوباترا السابعة ومارك أنطوني، وهي نفسها نشأت في البلاط الروماني. كان هذا زواجًا

سياسيًا بحثًا، لكنه تحول إلى شراكة حقيقية. سيليني، المثقفة والمتأثرة بتراث أمها الهلنستي، شاركت يوبا اهتماماته الفكرية وأصبحت شريكة في مشروعه الحضاري.

أسس يوبا عاصمة جديدة سماها "قيصرية" وهي (شرشال حاليًا) تكريمًا لأغسطس لكن المدينة لم تكن نسخة رومانية خالصة، بل كانت تجسيدًا لفكر يوبا التوفيق، حيث حملت تصميم روماني من مسرح، حمامات، معابد، ومدارس...، تحمل زخارف وهندسة محلية، بالإضافة لمكتبة ضخمة جمعت كتبًا بالإغريقية واللاتينية والمحلية، وأنشأ مركز للعلوم والفنون جذب العلماء من أنحاء الضفتين للمتوسط.

## سياسة حكم يوبا الثاني

امتاز حكمه بعدة ميزات أهمها:

### أ. استراتيجية التوازن والتوفيق

دام حكم يوبا الثاني حوالي الخمسين عامًا، نجح خلالها في:

- إرضاء روما: دفع الجزية، وساعد في الحملات العسكرية، وحافظ على الاستقرار
- كسب رعية متنوعة: أمازيغ، بونيقيين، مستوطنين رومان، تجار من أنحاء المتوسط
- التنمية الاقتصادية: شجع الزراعة (خاصة زراعة العنب والزيتون)، والتجارة، والتحضر

### ب. خلق التعددية الثقافية

أهم الأمتحانات الصعبة التي واجهت يوبا هي وجود ثقافات متعددة، فتودب عليه خلق حياة هادئة في ظل التنوع والتعدد الثقافي، وعليه حقق ما يلي:

- سمح بالعبادة الحرة: آلهة رومانية وبونيقية ومحلية
- طور نظامًا قانونيًا يجمع بين العرف المحلي والقانون الروماني
- شجع التزاوج بين الثقافات عبر سياسات عملية

## فكر يوبا الثاني

عرف يوبا بأنه قارئ كبير ومهووس بجمع الكتب ، حيث يقول بلينيوس الأكبر إن مكتبته تعتبر الأكبر والأضخم لكنه لم يكن جامعًا فقط، بل كان باحثًا منتجًا، تأثر يوبا بالفلسفة الهلنستية، خاصة الرواقية التي تناسب حاكمًا يسعى للتوازن بين الواجب والمصاعب. يمكن قراءة سياسته كتطبيق عملي لمبادئ الحكمة الرواقية: إدارة الشؤون العامة بموضوعية، قبول حدود السلطة تحت الهيمنة الرومانية، والسعي لتحقيق الخير العام ضمن الإمكانيات المتاحة.

ليوبا الثاني مؤلفات كثير لم يصلنا منها الا ما تم اعادة كتابته وترجمته من بعض الكتاب وأهمها:

- "عن ليبيا" (تاريخ شمال إفريقيا): (جمع فيه تراث المنطقة قبل أن يطويه النسيان
  - "عن آشور": دراسة عن الشرق القديم
  - "التشبهات": مقارنات أدبية وفنية
  - "تاريخ المسرح": دراسة نادرة عن الفنون في عصره
  - أبحاث في النباتات والحيوانات: خاصة ذات الفائدة الطبية
- كما اهتم يوبا بعلوم كثيرة و كتب حولها مثل:

- الجغرافيا: رسم خرائط ووصف بلاد
- اللسانيات: قارن بين اللغات
- التاريخ الطبيعي: جمع عينات نباتية وحيوانية
- الفنون: جمع لوحات وتمائيل وكتب عنها

## الخاتمة:

في قيصرية، تلك المدينة التي بناها، لا تزال بعض الآثار تشهد على رؤيته، وفي مؤلفات بلينيوس وبلوتارخ وغيرهما، تبقى أصداء كتاباته، لكن أهم إرث ليوبا ربما يكون فكرة أن الهوية ليست سجنًا، بل يمكن أن تكون جسرًا، وأن المعرفة قوة أكثر ديمومة من السلطان، وأن الإنسان يمكن أن يحمل أكثر من انتماء دون أن يتخلى عن جوهره.

في عالمنا اليوم، حيث تتصارع الهويات وتتصلب الانتماءات، تذكرنا حياة يوبا الثاني بأن التعقيد ليس ضعفًا، والتنوع ليس تشتتًا، وأن أعظم الانتصارات ليست دائمًا على ساحات المعارك، بل تكون في القدرة على الجمع بين ما يبدو للآخرين غير قابل للجمع.

لقد توفي يوبا الثاني حوالي عام 23 م، بعد حكم دام نصف قرن. تفككت مملكته بعد جيلين لتصبح مقاطعة رومانية، لكن إرثه الفكري بقي يؤثر لقرون.

## 2- لوكيوس أبوليوس

يعتبر أبوليوس من أبرز أدباء الأدب اللاتيني، بل إن لم نقل أبرزهم وألمعهم من حيث غنى معارفه، وتنوع كتاباته، وبالخصوص الكتابات القصصية والروائية. إلى درجة أنه يعتبر ممثل السرد اللاتيني الأفريقي وحتى أنه لقب بأمير خطباء إفريقيا وكان ذا نفوذاً وشهرة.

فإلى أي مدى كان لأبوليوس تأثيراً فكرياً وايدولوجياً على الفكر الجزائري القديم؟ وما هو الجديد الذي قدمه للتراث القديم؟

ولد لوكيوس أبوليوس أكما يطلق عليه أفيلاي في حوالي عام 125م، في مدينة مادور، والتي يطلق عليها اليوم مداوروش<sup>1</sup> سوق أهراس حالياً بالجزائر. كان يطلق على نفسه أحياناً إسم "أبوليوس المادوري الأفلاطوني" و "الفيلسوف الأفلاطوني" في بعض المؤلفات الأخرى.

استقر بقرطاج، واشتغل في الكهنوت، حتى أصبح الكاهن الأكبر في قرطاج، وكان "أبوليوس" يتقن اللغة اللوبية وبالإضافة إلى معرفته للغة القرطاجية، وقد كان يكتب ويخطب باللغتين الإغريقية واللاتينية، يقول "تعاطيت القدح الأول من عناصر الآداب فرفعني عن الغرار، وتعاطيت الثاني من عالم اللغة فزودني بالمعرفة، وتعاطيت الثالث من معالم الخطابة فدرعني بالبلاغة، وعند هذا الحد يتوقف ما يتعاطاه أغلب الناس، لكنني أنا أفرغت في أثينا أقداحاً أخرى، قدح الشعر الممزوج، وقدح الهندسة الصافي، وقدح الموسيقى العذب، وقدح المنطق الحامض إلى حد ما، وتعاطيت قبل كل شيء قدح رحيق

---

<sup>1</sup> هذه المدينة من أزهى المستعمرات الرومانية توجد بها جامعة هي الثانية بعد جامعة روما. ينظر عثمان سعدي. عروبة

الجزائر عبر التاريخ. ش، و، ن، ت. الجزائر 1982، ص 74

الفلسفة العامة الذي لا ينضب معينه)<sup>1</sup> وقد انعزل أبوليوس عن الحياة العامة منذ 164، ولا تعرف نهايته .

### مؤلفاته

وأهم مؤلفات أبوليوس التي وصلتنا، نذكر:

- 1- كتاب الدفاع أو السحر، حيث يدافع عن بعد اتهامه بالشعوذة ، كما أنه سيرة ذاتية تمتد القارئ بمعلومات عن قناعات واعتقادات الكاتب أبوليوس ، وهذا بأسلوب اقناع بلاغي من حيث التعبير يعرض فيه الكاتب للأنا الأمازيغية مقابل الآخر اللاتني-الإغريقي.
- 2- كتاب " الفلوريدات " وبالعربية يترجم إلى "الورديات أو الزهريات " ،وهي أنطولوجيا تضم مختارات من أعماله وندواته وخطبه. كما يجمع مناقشات شفهية في عدة مجالات.
- 3- كتاب التحول، وهو رواية ساخرة سماها " الحمار الذهبي " حيث يحكي عن الحب والنفس والآلهة والجن وعادات الإمبراطورية الرومانية.
- 4- كتاب حول "إله سقراط" يتطرق لعالم الأرواح والجن، شخصيات غريبة يقدمها الكاتب تجد مكانها في العالم الإلهي وعالم البشر، شخصيات من ثلاثة أنواع:(أرواح داخل جسد، أرواح تحررت من الجسد وأرواح لم يسبق لها أن سكنت الجسد المادي).
- 5- كتاب فلسفي حول مذهب أفلاطون يتعرض للأمور الأخلاقية والمادية. إنها قراءة مراوغة لمسألة الأخلاق عند أفلاطون.
- 6- كتاب يتعرض لعلم الفضاء وموضوع الدين. هنا يذهب أبوليوس إلى تقديم فكرته التي تفيد بأن الله أصل الحياة.

وكتب اخرى كثيرة

### فكره

أهم كتب أبوليوس هو عبارة عن رواية ،والتي تعتبر أول رواية في تاريخ البشرية بعنوان "الحمار الذهبي" أو عنوان "التحولات" (Métamorphoses) كما وجدت ترجمتها في الفكر الغربي، وقد قام الأديب الجزائري أبو العيد دودو بترجمتها إلى اللغة العربية بعنوان "الحمار الذهبي" وهي رواية تحكي عن تحول

---

<sup>1</sup> .مقدمة الحمار الذهبي. ترجمة . أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، ط 2006، ص 27 ،

إنسان إلى حمار، روائي العصور القديمة الأول بلا منازع ومؤسس الرواية، ومعنى الرواية ليس بمعنى السرد ولكن بمعنى ما تحتويه الرواية من بطل وأحداث وعقدة وشخصيات وفضاء وزمن. هذا الفن الذي صار بعد ذلك نمطا أدبيا متميزا عن غيره من الأجناس الأدبية وهو فن الرواية، أعتبر هذا العمل أول رواية قديمة وصلت إلينا كاملة، وشكلت نوعاً أدبياً جديداً، وحملت هذه الرواية مجموعة من القصص يقوم الكاتب بحكايتها. وإن كان أبوليوس من شعب البربر بشمال أفريقيا إلا أنه ليس هناك من شك أن روايته استمدت روحها من أنفاس يونانية.

تعتبر رواية " الحمار الذهبي " عبارة عن محاكاة ساخرة في صيغة قصة تحكي مغامرات ، كانت متعلقة بالغيبيات والسحر. كتب أبوليوس روايته بحرية متناهية غير مقيد بالمعايير الصارمة، غير أنها لا تخلو من مشاهد القسوة والجريمة والغرابة والجنس المقنع من حين لآخر.

اعتمد الروائي أبوليوس على التصور اليوناني على أنه إطار لإضافة حكايات أخرى تتخلل خط الرواية الرئيسة. وقد اعتمد أبوليوس بالإضافة إلى المصدر اليوناني على المصدر الأمازيغي فيما يتعلق بالمعتقدات الوثنية لذلك العصر (الأعمال السحرية التي كانت في الشمال الأفريقي)، وبالتالي فإن أبوليوس تجاوز المصدر اليوناني، عندما حل في نهاية الرواية محل بطله، وتحدث فيها عن حياته الخاصة، ففصل بذلك الحدث الرئيسي عن مجراه واهتم بتمجيد عبادة الإلهة إيزيس التي كان يمجدها سكان شمال أفريقيا، حيث أن معاناة البطل عند أبوليوس تجد حلها في الأسرار المقدسة. وأسلوب الرواية مليء بالعبارات الشعبية والاقتراسات الأدبية القديمة، متوفر على المحسنات البلاغية وشيء من الشعاعية ومليئ بالمتعة، لذا خاطب أبوليوس القارئ في تقديمه للرواية قائلاً: انتبه ستنال حظك من التسلية!. نجد الروائي النمساوي فرانز كافكا قد نحى نحو أبوليوس الذي جعل من بطله مسخ في إحدى رواياته التي تحمل نفس العنوان التحول إلى صرصار بأكثر ابداعية..

وفاة أبوليوس مجهولة لم يصل أي شيء عنها، لكن الأكيد هو أنه توفي حوالي 170 ميلادية قرب قرطاج.

### 3- دوناتوس النقريني

ولد دوناتوس النقريني في القرن الثالث الميلادي في نقرين من أبوين أمازيغين ، ونظرا لموقع نقرين الجغرافي الذي يربط نوميديا الجنوبية بقرطاج ،والصحراء بسيرتا ،فقط حط بها دون شك مبشرين مسيحيين وعابري سبيل من مختلف المناطق والخلفيات الفكرية ما سمح لدوناتوس أن يحتك بالجميع

منذ صغر سنه ، فقد أتقن لغة الرومان بالإضافة إلى لغته الكنعانية الفينيقية البونيقية<sup>1</sup> ، ويعتبر من أهم الزعماء البرابرة الذين واجهوا الرومان بكل ما أوتي من علم ومن قوة ، وهو قس وراهب في قرية بربرية، وصار بعد ذلك أسقفا وزعيما دينيا كبيرا في إفريقيا الشمالية.

حركة الدوناتية باللاتيني Donatismus ، باليونانية Donatismós هي حركة دينية مسيحية ظهرت في مقاطعة أفريكا الرومانية وازدهرت في القرنين الرابع والخامس ، وترجع جذور هذه الحركة إلى الاضطهاد الديقليديانوسي الكبير والذي بلغ أوجّه بالمغرب القديم في الفترة بين 295م-299م، حيث أمر الإمبراطور الروماني "دقليديانوس" بهدم الكنائس المسيحية وإعدام كتبها المقدسة، وتم تعذيب رجال الدين وكل المسيحيين بكل ألوان العذاب، وهو ما أدى بالكثيرين إلى الارتداد والعودة إلى الوثنية، عندها حدث اختلاف بين رجال الدين حول قبول أو رفض المرتدين، فقام الأساقفة الرافضين لعودة المرتدين إلى المسيحية بالانفصال وتأسيس كنيسة تضم الذين صمدوا وتمسكوا بدينهم، وقد أطلقوا على أنفسهم تسمية "القديسين الأطهار" في إشارة واضحة لإدانة معارضتهم.

انتشرت الحركة بين المسيحيين الأمازيغ في الجزائر والمغرب وتونس الحالية. حظيت الحركة بقوة في عهد القديس أوغسطين في نهاية القرن الرابع، واختفت بعد الفتح الإسلامي للمغرب في القرن السابع والثامن.

فاستغل دوناتوس الفرصة فأسس مذهباً مسيحياً أمازيغياً مستقلاً ألا وهو "المذهب الدوناتى"، فأقبل الأمازيغيون على هذا المذهب الجديد للتخلص من نير الاستعمار الروماني، ومن الظلم والعبودية والنذل، وسبب تسميتها بالدوناتية هو ما اصطلح عليه رجال الدين الكاثوليكين أمثال: "أوبطاميلي" و"القديس أوغسطين"، حيث سموها باسم "القديس دوناتوس"، مؤسس الكنيسة الإفريقية، وهو القديس "دوناتوس الأكوخ السود" من منطقة "باغاي" النوميديّة والتي تقع بين "تيموقادي وماسكيلا" أي خنشلة حالياً.

بتهمة تسليم الكتب المقدسة والأواني الكنسية إلى السلطة الرومانية الوثنية أثناء "الاضطهاد الأكبر" في عهد الإمبراطور "ديوكليتيانوس" 284 - 303، ظل الدوناتيون يصفون أعدائهم الكاثوليك بكنيسة "المتخاذلون"<sup>2</sup>

<sup>1</sup> دوناتوس ( الثائر النمودي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في افريقيا )، محمد دومير ، عماد سعودي

<sup>2</sup>Félix Gaffiot, Dictionnaire Abrégé Latin Français, Hachette, Paris, 1936, p. 657.

لقد كانت الحركة الدوناتية حركة دينية مناهضة للسلطة وللكنيسة المتواطئة معها، وقد ظهرت في صورة تيار ديني مستقل رفض جميع أشكال التعاون مع السلطة، والخضوع لتعليمات الإمبراطور الذي استغل المسيحية لأغراض سياسية، وقاموا بإفراغها من محتواها وجوهرها الأخلاقي والاجتماعي. وعليه سعت للحفاظ على هذه الروح الأصيلة التي من أجلها ضحوا. فقد ابرزوا موقفا متطرفا من المرتدين والمتخاذلين، ورفضوا التعامل معهم بأي شكل من الأشكال بعد انتهاء الاضطهاد سنة 303م، وكان من ضحايا هذا الاضطهاد شهداء قرية "أبيتينا" (Abitina)، قرب قرطاجة في 33 فيفري سنة 301 م، الذين اتهموا بعقد اجتماع الشنوعة.<sup>2</sup>

وقد انشق دوناتوس عن المذهب المسيحي الذي أراد الإمبراطور الروماني تيودوز فرضه على الشعوب الخاضعة لحكمه، منذ تبنيه له سنة 391م، وقد تسبب هذا الانشقاق في مجاهبات دموية كثيرة، استمرت تقريبا حتى مجيء الوندال لشمال إفريقيا سنة 439م.<sup>3</sup>

وقاد دوناتوس في إطار ثورته الدينية، مجموعة من رجال الكنيسة الأمازيغيين الراضين للسلطة الرومانية، وساهموا في ظهور ما يسمى بالثورة الدوناتية نسبة إلى دوناتوس<sup>4</sup>، إن الصفات القيادية والخطابية سمحت لدوناتوس بتشكيل قاعدة قوية ومترابطة من الأنصار من مختلف المستويات، أساقفة ورجال دين وفلاحين وعمال من العامة. فتشكل خلفه حزبا معارضا، كان الأكثر شمولية وانفصالية في كل العصور التي عاشتها الكنيسة منذ المسيح عليه السلام وإلى اليوم<sup>5</sup>، بيد أن هناك من الباحثين من يقسم الحركة الدوناتية إلى مجموعتين:

- مجموعة دوناتية تستغل الدين لتحقيق مصالحها ومآربها الشخصية، وهي عصابة من العبيد الأمازيغيين المتوحشين الذين يثورون ويغتصبون وينهبون قصد الوصول إلى أطماعهم المادية.

---

<sup>1</sup> Warmington (B.H.), The North African provinces from Diocletian to the Vandal conquest, Cambridge, (1954, p.78.

<sup>2</sup> Beschouch (A.), « Sur ; 266 -, pp. 255., 1976C.R.A.», la localisation d'Abitina...

<sup>3</sup> العربي اكنينج: في المسألة الأمازيغية، أصول المغاربة، مطبعة آفرو- برانت، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م، ص:24

<sup>4</sup> عباس الجراي: الأدب المغربي من خلال قضايا وظواهره، الجزء الأول، مكتبة المعارف، الرباط، الطبعة الثانية، 1982، ص:27.

<sup>5</sup> Henry E.F. Guericke. (1857). Manual of church history. W.F. Draper. New york. Page278

- ومجموعة أخرى من الدوناتيين الذين حافظوا على مبادئهم الأخلاقية ومعتقداتهم الدينية ينتهزون الفرصة السانحة لمجاهة الرومان ضمن رؤية دينية وسياسية معقولة ومقبولة.

لقد كانت حركتهم سياسية ترمي إلى التحرير، متمصبة في ثوب حركة دينية، ظلوا محافظين على قوتهم وصلابتهم، يترقبون سنوح فرصة للانقضاض على أعدائهم، وأعظم أسباب هذا الهيجان هو النظام الاستعماري الروماني الذي ملك الأرض بيد ثلة منتفعة، وحرّم منها جماعة الناس<sup>1</sup>.

وقد توفي دوناتوس في 335م

---

<sup>1</sup> أحمد توفيق المدني: قرطاجنة في أربعة عصور، طبعة تونس، 1926م، ص: 114-117